ومن كلامه : إِذا جالت فرسان الأَحاديث في ميادين الكفاح طارت رؤوس المقاييس في مهابّ الريح . وقال السّلفي : استفتيتُ شيخنا أبو الحسن الكِيا الهرّاسي ببغداذ سنة خمس وتسعين وأربع مائة : ما يقول الإمام وفّقه ا في رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية أو لا ؟ فكتب الشيخ تحت السؤال : نعم كيف لا وقد قال رسول ا صلّى ا عليه وسلّم : " من حفظ على أمّتي أربعين حديثاً في أمر دينها بعثه ا يوم القيامة فقيهاً عالماً ؟ " وأفتى في أمر يزيد بن معاوية بما يأتي إن شَاءَ ا تعالى في ترجمة يزيد في مكانه . وحضر دفنه قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني والشّريف أبو طالب الزينبي وكانا مقدّمي الطائفة الحنفية وكان بينهما وبينه منافسة ؛ فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الدامغاني متمثّلاً : .

وما تُغني النّوادب والبواكي ... وقد أصبحتَ مثل حديث أمسِ .

وأنشد الزبيني متمثّلاً : .

عُقِمَ النساءُ فما يَلِدْنَ شبيهَهُ ... إنّ النساءَ بمثله عُقْمُ .

ولمّا توفي رثاه أبو إسحاق إبراهيم الغزّي ارتجالاً فقال : .

هيَ الحوادثُ لا تُبقي ولا تَذَرُ ... ما للبريّة من محتومها وزَرُ .

لو كان يُنجي عُلُمٌّ من بوائقها ... لم يُكسفِ النيّرانِ الشمسُ والقمرُ .

قل للجبان الذي أمسى على حذرٍ ... من الحِمام متى ردّ الردى حَذَرُ .

بكى على شمسه الإسلامُ إذْ أفَلَت ... بأدمعٍ قلّ في تشبيهها المطرُ .

حَبْرٌ عهدناه طلقَ الوجهِ مبتسماً ... والبِشرُ أحسنُ ما يُلْقى به البشرُ .

لئن طوتهُ المنايا تحت أخمصها ... فعلمه الجمّ في الآفاق منتشرُ .

سقى ثراك عمادَ الدينِ كلّ ضحًى ... صَوْبُ الغمام مُلِثّ الوَدْقِ منهمرُ .

عند الوَرَى من أسًى أبقيته خبرٌ ... فهل أتاك من استيحاشهمْ خبرُ ؟ .

أحيا ابنَ إدريسَ درسٌ كنتَ تورده ... تحار في نظمهِ الأذهانُ والفِكَرُ .

من فازَ منهُ بتعليقٍ فقد علقتْ ... يمينُهُ بشهابٍ ليس ينكدرُ .

كأنّما مشكلاتُ الفقه توضحها ... جباهُ دُهْمٍ لها من لفظه غُرَرُ .

ولو عرفتُ له مِثلاً دعوتُ بهِ ... وقلتُ دهري إلى شرواه مُفْتَقِرُ .

ابن السّقّاء .

علي بن محمد بن علي بن منصور الحَوْزي أبو الحسن الأديب ابن السّقّاء . قال ياقوت :

رجل فاضل شاعر كاتب سمع الحديث من متأخّري الطبقة الثانية ومن مشايخنا ومات كهلاً سنة سبع وتسعين وأربع مائة .

الفصيحي النحوي .

علي بن محمد بن علي أبو الحسن بن أبي زيد الفصيحي الإستراباذي . قرأ النحو على عبد القاهر الجرجاني وأخذ عنه ملك النحاة والحيص بيص . توفّي سنة ست عشرة وخمس مائة . درّس النحو بالنظامية بعد أبي زكريّاء التبريزي ثمّ اتّهم بالتشيّع فقال : لا أجحد أنا متشيّع من الفرْق إلى القدم ؛ فأُخرج من النظامية ورتب موهوب بن الجواليقي مكانه فقصده التلامذة يقرؤون عليه ؛ فقال : منزلي الآن بالكراء والخبز بالشراء وأنتم تدّحرجون إليّ اذهبوا إلى من عُزلنا به . وسمّي الفصيحي لتكراره على فصيح ثعلب حتّى إنه دخل يوماً على مريض يعوده فقال : شفاه وأرخيت الستر لكثرة اعتياده له . وقد طوّل ترجمته ياقوت وذكر فيها الجراحة المنقلة من جملة الشجاج هل هي بفتح القاف أو بكسرها .

قاضي القضاة الدامغاني الحنفي